* **التطور التاريخي للابستيمولوجيا.**

تعد الابستيمولوجيا أحد الافرع الثلاثة التي انقسمت إليها الفلسفة وهي: الايستيمولوجيا، والأنطولوجيا وهو مبحث الوجود والماهية أو الوجود بما هو موجود، والأكسيولوجيا وهو مبحث القيم والجمال، تعتبر الابستيمولوجيا من العلوم التي تهتم بدراسة المعرفة العلمية ومبادئها وافتراضاتها ونتائجها.

قبل أن تصبح الابستيمولوجيا فرعا مستقلا، فقد كانت جزء لا يتجزأ عن الفلسفة، ويعد أفلاطون من العهد اليوناني أول من أصل لهذا العلم، حيث حاول أن يتعامل مع الأسئلة الأساسية مثل: ما هي المعرفة؟ وأين توجد؟ وكم من معرفة نعرفها هي معرفة حقيقية؟ وهل الإحساس يمدنا بالمعرفة؟ وهل يستطيع العقل الوصول إلى المعرفة؟ وما هي العلاقة بين المعرفة والاعتقاد الصحيح؟

إن التطور العلمي الذي حصل في مجال العلم منذ بدايات عصر النهضة الأوروبية هو ما أدى إلى تغير طبيعة العلاقة بين العلم والفلسفة، فظهرت الابستيمولوجيا لكي تقدم مهاما جديدة تتلاءم وهذه العلاقة، ورغم ما قدمه أصحاب الفكر العقلي الذين عاصروا بدايات الثورة المعرفية التي اكتسحت أوروبا أمثال: إيماويل كانط، ديكارت الذين كانوا يهتمون يشكل خاص بنظرية المعرفة ولم تصل مستويات أبحاثهم إلى مستوى الابستيمولوجيا أو المعرفة العلمية.

فقد توصل **ديكارت** إلى افتراض الثبات في العقل الإنساني انطلاقا من الاعتماد على عقلانية واحدة ومنهج واحد، وبذلك فإن ديكارت يتبنى ما يطلق عليه العلم العام أو الشمولي، وهو ما يتعارض مع منحى الابستيمولوجيا المعاصرة التي تعتمد الجانب العلمي والتجريبي في الدراسات وفي التحصيل المعرفي.

وترجع أسباب عدم اعتبار أعمال **ديكارت** أعمالا ابستيمولوجية لثلاثة أسباب:-

1. أن ديكارت بنا الحقيقة واليقين العلمي على الميتافيزيقا التي تتنافى معها الابستيمولوجيا.
2. معيار الحقيقة العلمية عند ديكارت هي الاعتماد على العقل النظري، بينما الابستيمولوجيا معيارها التجربة الإجرائية.
3. أن فلسفة ديكارت مجرد تنظير للمنهج العقلي وليست عملا علميا.

يرى **كارل مانهايم** أنه من دواعي الاهتمام بحقل الابستيمولوجيا يرجع إلى أنه: " منذ أن تم تحطيم الرؤية الدينية الأحادية للعالم وجب علينا أن نعطي اهتماما بالمعرفة وكيقية وصولها إلينا أو إلى الوجود".

تختلف الأدبيات حول الاستعمال والاستخدام الأول لمفهوم الابستيمولوجيا، إذ ربط البعض في دراساتهم لفلسفة العلوم بالاعتماد النزعة الوضعية التجريبية الإنجليزية، والتي ركزت في أبحاثها على الجانب العلمي التجريبي ومن أشهر روادها يذكر: فرانسيس بيكون، جون لوك، برتراند راسل، ويعتبر بعض المفكرين الآخرين أن الابستيمولوجيا ترجع إلى منتصف القرن 19 حيث تحدث عنها الفيلسوف "فريديريك فيريه" في كتابه "مبادئ الميتافيزيقا" سنة 1834.

الابستيمولوجيا بوصفها مبحثاً مستقلاً موضوعه المعرفة العلمية، لم تنشأ إلا في مطلع القرن العشرين، إذ لم تشهد منذ الإغريق حتى بداية القرن 20 تطورا كبيرا، وقد اتجهت إلى تحديد الأسس التي يرتكز عليها العلم، والخطوات التي يتألف منها، وإلى نقد العلوم والعودة إلى مبادئها العميقة، وذلك بتأثير التقدم السريع للعلم، والاتجاه نحو التخصص المتزايد، وما ولدّه ذلك من تغيّر في بنية منظومة العلوم، ومن صعوبات وإشكالات ذات طبيعة نظرية.

**ثانيا: علاقة الابستيمولوجيا بالعلوم المعرفية (نظرية المعرفة، علم المناهج).**

يتداخل موضوع الابستيمولوجيا كفرع مهتم بقضايا العلم مع العديد من العلوم المعرفية التي تتخذ من العلم والمعرفة موضوعا لها، ما يجعلها تتقاطع معها كنظرية المعرفة والميثودولوجيا.

1. **علاقة الابستيمولوجيا بنظرية المعرفة.**

تهتم نظرية المعرفة بتحليل طبيعة المعرفة وارتباطها بالترميزات والمصطلحات مثل: الحقيقة، الاعتقاد، التعليل والتبرير...كما تدرس نظرية المعرفة وسائل انتاج المعرفة، كما تهتم بالشكوك حول ادعاءات المعرفة المختلفة.

يرى أغلب العلماء المعاصرين ضرورة التمييز بين الابستيمولوجيا ونظرية المعرفة استنادا إلى أن الابستيمولوجيا تهتم بنظرية المعرفة العلمية، بينما تتناول نظرية المعرفة كل أنواع المعارف. وبهذا يوجد ثلاثة اتجاهات أساسية:-

* **الاتجاه الأول:** يعتمده الفلاسفة الأنجلوسكسونيين اللذين يستخدمون اللفظين بالمعنى نفسه، فنجدهم يعرفون الابستيمولوجيا أو نظرية المعرفة بأنه ذلك الفرع من فروع الفلسفة الذي ينصرف إلى دراسة طبيعة المعرفة وحدودها.
* **الاتجاه الثاني:** يمثله موقف الابستيمولوجيين الفلاسفة الذين يقربون بين مفهومي الابستيمولوجيا ونظرية المعرفة، فالابستيمولوجيا تبحث في صورة خاصة من صور المعرفة وهي المعرفة العلمية، فالابستيمولوجيا تقتصر على شكل وحيد من أشكال المعرفة.
* **الاتجاه الثالث:** يمثله الفلاسفة المنتمون إلى الوضعية المنطقية والذين يرفضون أن تكون هناك أية علاقة بين الابستيمولوجيا ونظرية المعرفة، فلا يعترفون بأية نظرية في المعرفة لا تكون تحليلا منطقيا لقضايا العلم.

بناءا على ما سبق، يعتبر العلماء أن أية معرفة في الوقت الراهن هي معرفة علمية، وأن أية دراسة في نظرية المعرفة هي دراسة في نظرية العلم.

1. **علاقة الابستيمولوجيا بعلم المناهج.**

الميثودولوجيا اشتقاقا تأتي من (méthode) وهي مشتقة من (methodos) اليونانية، ومعناها الطريق إلى أو المنهج المؤدي إلى...، وبعد تطور الكلمة باتت تدل على مجموعة العمليات العقلية والعملية، الممارسة التي يقوم بها العالم من بدء بحثه إلى نهايته من أجل الكشف عن حقيقة أمر أو واقع ما، والبرهان على الفرضيات الموضوعة للوصول إليه.

يعتبر علم المناهج (méthodologies) جزءا من المنطق، فهو الدراسة الوصفية لمناهج البحث المعتمدة في شتى العلوم، بينما الابستيمولوجيا فهي دراسة نقدية تبحث فضلا عن المناهج في الأسس والنتائج كما يرى لالاند في موسوعته الفلسفية.

يرى "روبير بلانشيه" بأن الابستيمولوجيا لا يمكن أن تبحث في مبادئ العلوم وقيمتها وبعدها الموضوعي دون التساؤل حول قيمة وطبيعة المناهج المستخدمة.

وهكذا، فلا يمكن الفصل بين المفهومين، فالتفكير الابستيمولوجي يبدأ عندما تكون هناك أزمات في العلوم، ف"بياجيه" يشدد على التكامل بين العلمين، إذن فالعلاقة بين الابستيمولوجيا وعلم المناهج تتمثل في أن علم المناهج يقدم الدراسة الوصفية المستخدمة في تحصيل المعارف العلمية، ثم تتعدى الابستيمولوجيا ذلك إلى الدراسة النقدية الرامية لاستخلاص المبادئ التي يقوم عليها التفكير العلمي.